

تفسير البحر المحيط

@ 246 @ فجعل للرجال الجهاد والإنفاق في المعيشة ، وحمل التكاليف الشاقة كالأحكام والإمارة والحسبة وغير ذلك . وجعل للنساء الحمل ومشقته ، وحسن التبعل ، وحفظ غيب الزوج ، وخدمة البيوت . وقيل : المعنى مما اكتسب من نعيم الدنيا ، فينبغي أن يرضى بما قسم الله له . وهذه الأقوال الثلاثة هي بالنسبة لأحوال الدنيا . وقالت فرقة : المعنى نصيب من الأجر والحسنات . وقال الزمخشري : جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط والقبض كسباً له انتهى . وفي قوله : عرف الله نظره ، فإنه لا يقال في الله عارف ، نص الأئمة على ذلك ، لأن المعرفة في اللغة تستدعي قبلها جهلاً بالمعروف ، وذلك بخلاف العلم ، فإنه لا يستدعي جهلاً قبله . وتسمية ما قسم الله كسباً له فيه نظر أيضاً ، فإن الاكتساب يقتضي الاعتماد والتطلب كما قلناه ، إلا إن قلنا أن أكثر ما قسم له يستدعي اكتساباً من الشخص ، فأطلق الاكتساب على جميع ما قسم له تغليباً للأكثر . وفي تعليق النصيب بالاكتساب حض على العمل ، وتنبيه على كسب الخير . .

{ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ } أي من زيادة إحسانه ونعمه . لما نهاهم عن تمني ما فضل به بعضهم ، أمرهم بأن يعتمدوا في المزيد عليه تبارك وتعالى . وظاهر قوله : من فضله ، العموم فيما يتعلق بأحوال الدنيا وأحوال الآخرة ، لأن ظاهر قوله : { وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ } ما فضل العموم أيضاً ، وهو قول الجمهور . وقال ابن جبير وليث بن أبي سليم : هذا في العبادات والدين وأعمال البر ، وليس في فضل الدنيا . وفي قوله : من فضله ، دلالة على عدم تعيين المطلوب ، لكن يطلب من فضل الله ما يكون سبباً لإصلاح دينه ودنياه على سبيل الإطلاق ، كما قال تعالى : { وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبِّ إِنِّي بَعَثْتُ فِي الدُّنْيَا رَسُولًا مِّنْكَ يَقُولُ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } . .

وقرأ ابن كثير والكسائي : وسلوا بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على السين ، وذلك إذا كان أمراً للمخاطب ، وقبل السين واو أو فاء نحو : { * فسل الذين يقرؤون } و { فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ } . وقرأ باقي السبعة بالهمز . قال ابن عطية : إلا في قوله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } فإنهم أجمعوا على الهمز فيه انتهى . وهذا الذي ذكره ابن عطية وهم ، بل نصوص المقرئين في كتبهم على أن واسألوا ما أنفقتم من جملة المختلف فيه . بيّن ابن كثير والكسائي ، وبين الجماعة ، ونص على ذلك بلفظه ابن شيطا في كتاب التذكار ، ولعل الوهم وقع له في ذلك من قول ابن مجاهد في كتاب السبعة له ، ولم يختلفوا في قوله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } أنه مهموز لأنه لغائب انتهى . وروى

الكسائي عن اسماعيل بن جعفر عن أبي جعفر وشيبة : أنهما لم يهزرا وسل ولا فسل ، مثل قراءة الكسائي ، وحذف الهمزة في سل لغة الحجاز ، وإثباتها لغة لبعض تميم . وروى اليزيدي عن أبي عمرو : أن لغة قريش سل . فإذا أدخلوا الواو والفاء همزوا ، وسأل يقتضي مفعولين ، والثاني لقوله : واسألوا ۞ هو قوله : من فضله . كما تقول : أطعمت زيدا ۞ من اللحم ، وكسوته من الحرير ، والتقدير : شيئا ۞ من فضله ، وشيئا ۞ من اللحم ، وشيئا ۞ من الحرير . وقال بعض النحويين : من زائدة ، والتقدير : وسلوا ۞ فضله ، وهذا لا يجوز إلا على مذهب الأخفش . وقال ابن عطية : ويحسن عندي أن يقدر المفعول أمانيكم إذ ما تقدم يحسن هذا المعنى . .

{ إِنِّ اللّٰهَ كَآنَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } أي علمه محيط بجميع الأشياء فهو عالم بما فضل به بعضكم على بعض وما يصلح لكل ۞ منكم من توسيع أو تقتير فأياكم والاعتراض بتمن أو غيره وهو عالم أيضا ۞ بسؤالكم من فضله فيستجيب دعاءكم { وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَكُمْ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ } وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ فَذَلِكُمْ تَوَهُمٌ ۖ نَّصِيْبُهُمْ ۖ { لَمَّا نَهَىٰ عَنِ التَّمَنِی الْمَذْكُور ، وأمر بسؤال ۞ من فضله ، أخبر تعالى بشيء من أحوال الميراث ، وأن ۞ في شرعه ذلك مصلحة عظيمة من تحصيل مال للوارث لم يسع فيه ، ولم يتعن ۞ بطلبه ، فرب ساع لقاعد . وكل ۞ لا تستعمل إلا مضافة ، إما الظاهر ، وإما المقدر ، واختلفوا في تعيين المقدّر هنا ،